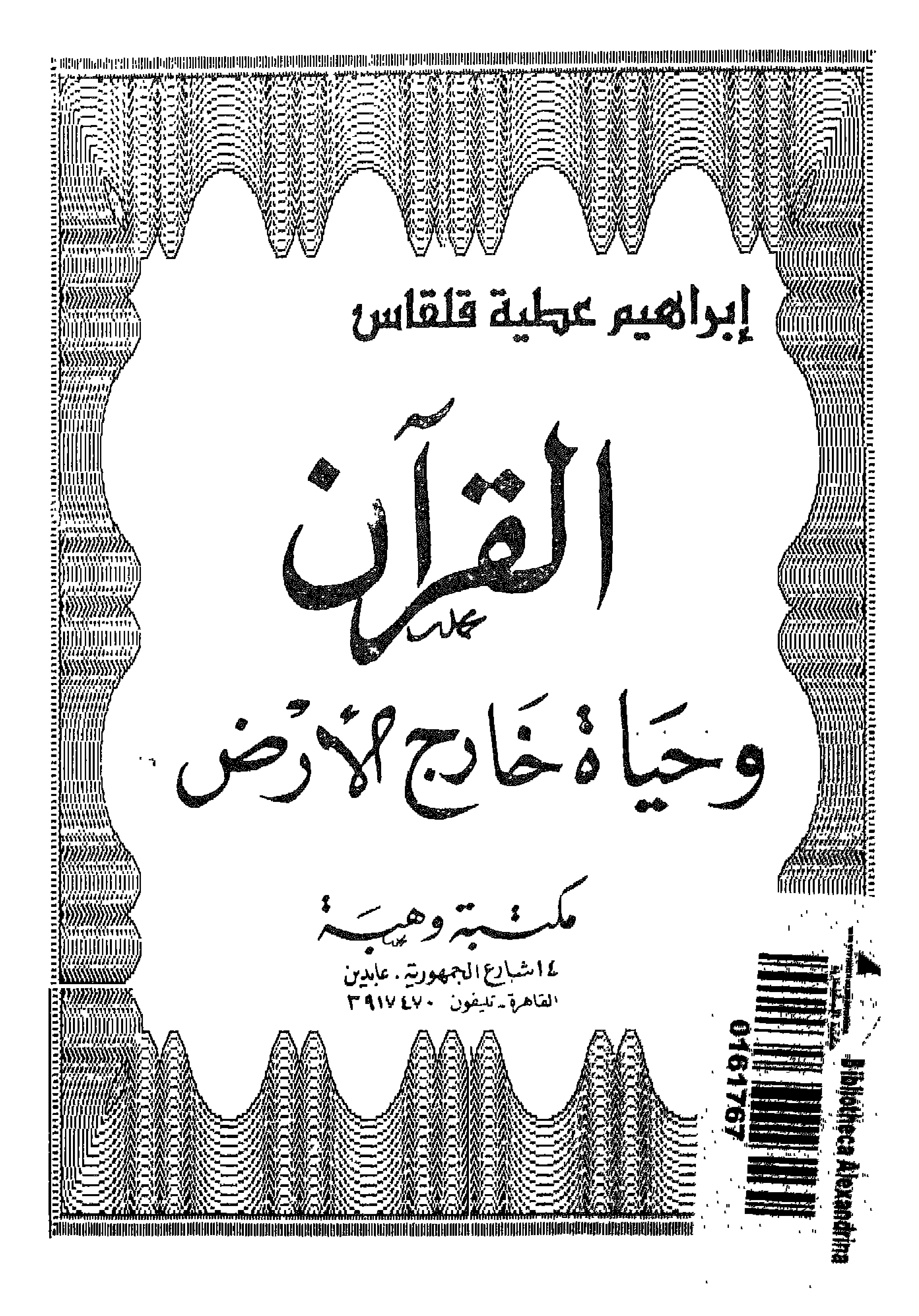

إبراهيم عطية قلقاس
القرآن
وحياة خارج الأرض
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

إبراهيم عطية قلقاس

القرآن
وحياة خارج الأرض

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ،قدير لا يعجزه شئ، عليم أحاط علمه بكل شئ، وصلى الله على من فتح الله به على الإنسانية الآفاق المترامية من العلوم- سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين- وعلى آله وصحبه - ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فكثيراً ما يتحدث الناس عن ظاهرة - تعرف بالأطباق الطائرة -- ولقد كثر الجدل من المعلقين على هذه الظاهرة - مابين مؤكد أنها وافدة من خارج كوكبنا الذى نعيش فيه وأنها تحوى كائنات عاقلة تسبقنا فى الحضارة - وما بين مؤكد أنها مجرد انعكاسات لبعض الأضواء المنبعثة من طائرات فى جو أرضنا هذه - أو أنها تجمعات لحشرات فى الجو... إلى غير ذلك من التعليقات المتباينة - وكلها تبعث فى نفس قارئها تساؤلا واحداً... هل هناك خارج كوكبنا حياة تشبه ولو إلى حد ما تلك الحياة التى نعيشها؟؟ .

أو السؤال بطريقة أخرى .. هل هناك كائنات عاقلة خارج كوكبنا هذا؟؟.

إن المؤمنين بالأديان على اختلافها يعلمون أن الوجود ليس قاصرا على ما نحسه - فهناك الروح والملائكة والجن - لكن السؤال الذى يخطر بالبال حين مطالعة أى خبر ينشر فى الصحف أو يسمع فى الإذاعة حول الأطباق الطائرة - يبعث

سؤالا محدداً.. هل هناك كائنات غير الملائكة والجن تعيش خارج أرضنا؟؟ إن الناس يلتمسون العلم بالمجهول من مصدرين:

أولا: الإدراك المباشر، بأن يحاول الشخص أن يرى هو أو يسمع أو يفكر.

ثانيا: الإدراك عن طريق الغير.

وإذا كان الإنسان يبحث في موضوع مستعص على الإدراك البشرى، فإنه يتجه إلى المصادر الدينية التى يثق فيها.

والمسلم الذى يؤمن بالقرآن الكريم ويثق فى صدقه تمام الثقة يلتمس أن يجد فيه مطلبه وغايته، لذا يجد الباحث فى القرآن الكريم أسئلة توجه إليه من هنا وهناك - كى يدلى برأيه فى هذا الموضوع - وقد أحببت أن أسجل خواطرى حول ماوجه إلىّ من الأسئلة فى هذا الشأن.

وأجملها فيما يأتى:

١- القرآن الكريم وتفاصيل الأمور.

٢- ستة أمور توضح وجود كائنات غير الملائكة خارج هذه الأرض.

٣- السر فى أن القرآن والسنة لم يفيضا فى الحديث عن تلك المخلوقات كما أفاض الحديث عن الملائكة والجن.

* * *

(١)
القرآن الكريم وتفاصيل الأمور

كثير من الذين يلتمسون أن يعرفوا كلمة القرآن الكريم في وجود مخلوقات أخرى خارج كوكبنا هذا يكون منطلقهم هو اعتقادهم أن القرآن قد اشتمل على تفاصيل كل ما في الكون.

لذا يجهدون أنفسهم في محاولة العثور على كثير من التفاصيل من كلمات الكتاب العزيز - والذي أحب أن أبديه هنا - هو أن هناك فرقاً بين كون الكتاب العزيز تبياناً لكل شئ وبين اشتمال الكتاب العزيز على تفاصيل كل شئ.

وإذا ما تأملنا الآيات البينات وجدنا في مختلف السور إشارات إلى أن القرآن الكريم لا يُعنى بالتفاصيل، وإنما يتناول ما يتناوله من تفاصيل ليعطينا العبرة، أو العبر التي تنفعنا في ما لا يحصى من الأمور، ولنأخذ على سبيل المثال: قول الله جل جلاله:

(أ) ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١).

كثير من الناس - يلتمس جاهداً - معرفة الشجرة التي نهى آدم وحواء عن أن يقرباها أهي شجرة التين أم شجرة الحنطة (القمح)، أم شجرة العنب إلى غير ذلك.

---

(١) البقرة: ٣٥.

والمتأمل يرى أنه لو كانت هذه الجزئية من التفاصيل مهمة – لبينها القرآن الكريم – فبدلاً من أن يقول :﴿ وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ – كان من الممكن أن يقول : ولا تقربا شجرة التين مثلاً – فتوضع كلمة التين ، أو غيرها بدلاً من كلمة « هذه » .

ولكن القرآن بصنيعه هذا – يلفت نظرنا إلى أن مهمته هى بيان العبرة التى ننتفع بها فى ما لا يحصى من الجزئيات ، وليس ذكر تفاصيل جزئية فى واقعة معينة – بمعنى أن لفظة « هذه » تعطينا أن الشجرة التى نُهى عنها قد وضحت لهما تمام التوضيح، وهذا هو الغرض من استعمال اسم الإشارة دائماً، فكأن القرآن الكريم يقول لنا : إن آدم وحواء قد وضح لهما ما نُهيا عنه، فكأن هذا يشابه قول الله جل جلاله ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾(١) – أى أن الله جل جلاله لا يعاقب بذنب حتى يبين بوضوح أنه ذنب – وفى هذا المعنى جاء الحديث عن الرسول ﷺ : « الحلال بين والحرام بين » .

(ب) قول الله جل جلاله : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ ، مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾(٢) .

هنا نجد بوضوح أن القرآن الكريم يبين أنه لم يذكر أسماء جميع الرسل – فهناك رسل لم يقصص القرآن الكريم

---

(١) التوبة: ١١٥.

(٢) غافر: ٧٨.

خبرهم اكتفاءً برسل آخرين – كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب – والذى نريد أن نستنتجه من ذلك هو أنه ليس بلازم أن يقول القرآن كلمته فى شأن أمور ليست من مهمات الدين، فإن وجدنا للقرآن كلمة فيها – فإنها كلمة حق وصدق – يجب أن نؤمن بها وإن لم نجد فإن ذلك لا ينقص من بيان القرآن لكل شئ – فإنه قد انتهى من بيان كل شئ حين قرر لنا أمرين بشأن ما نعلم وما لا نعلم من المخلوقات :

الأمر الأول: أنها جميعاً خاضعة لقدرة الله عز وجل وأن الله عز وجل أجراها على النحو الذى فيه منفعة للإنسان – قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فى السَّمَاوَاتِ وَمَا فى الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١) – وقد منح الله جل جلاله الإنسان من الإمكانيات ما يباشر به العمل فى بعض هذه المخلوقات – كأن يحرث الأرض ، أو أن يبنى المصانع ونحو ذلك – وكثير من المخلوقات تكون فوق سلطان قدرة الإنسان ولكنها فى الوقت نفسه تجرى على نحو يفيده كما هو الحال فى الشمس والقمر.

الأمر الثانى: أننا نعمل ما وسعنا العمل فى الانتفاع بهذه المخلوقات، فإذا خشينا الشر فعلينا أن نلتمس الحماية من ربنا ورب كل المخلوقات ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ..﴾(٢) إلى آخر السورة.

---

(١) الجاثية : ١٣.

(٢) الفلق: ١، ٢.

هذان الأمران فيما أرى – هما خلاصة ما يقرره القرآن الكريم بشأن العلاقة بيننا وبين المخلوقات الأخرى.

أما هل توجد مخلوقات خارج كوكبنا هذا – أو لا توجد – فليس من صميم مهمات الدين، فلو أن القرآن الكريم لم يقل فيه كلمة لما نقص من بيانه.

ولكن مع ذلك سنرى ما يقوله القرآن الكريم، وما جاء في السنة المطهرة بهذا الشأن.

* * *

(٢)
ستة أمور تبين وجود كائنات حية غير الملائكة خارج هذه الأرض

قد تكون هناك أدلة كثيرة على وجود كائنات حية غير الملائكة خارج كوكبنا الذى نعيش فيه – ولكن أتحدث عما وجدته أنا من ذلك وهو أدلة أربعة من القرآن الكريم ثم أمران من السنة المطهرة، إن لم يبلغا من القوة أن يكونا دليلين فلا أقل من أن يكونا مدعمين لما سبقهما من أدلة.

أربعة أدلة من القرآن الكريم تدل على وجود كائنات غير الملائكة والجن خارج هذه الأرض

الدليل الأول:

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاته خَلْقُ السَّمَاوَات وَالأَرْض وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ، وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾(١).

(١) الشورى: ٢٩.

ووجه الاستدلال هنا أنه لو كانت الدواب فى الأرض فقط لقال: وما بث فيها من دابة، أما وقد جاء التعبير بلفظ «فيهما» فإن الدواب تكون قد بثت فى السماوات والأرض معا، ولو لم تكن إلا فى الأرض لكانت «الميم» من كلمة «فيهما» بدون معنى.

ونحن نعلم جميعاً أن القرآن الكريم كله حكم - وليس فيه حرف بدون فائدة - ولذا فعندما تأملت هذه الآية منذ أكثر من عشرين سنة .. سألت نفسى: ترى ماذا قال علماؤنا المفسرون القدماء فى هذه الآية ؟؟.

إنها كفيلة بأن تجعلهم يتأكدون من وجود كائنات حية غير الملائكة خارج أرضنا هذه التى نعيش فيها، فطالعت تفسير الفخر الرازى فوجدته قد أثار هذا الموضوع على هيئة سؤال، ثم أجاب عنه بثلاثة أجوبة:

أحدها: أن ذلك لا مانع منه، وقد قال الله جل جلاله: ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾(١).

والجواب الثانى: أن الدواب فى الأرض فقط، وإنما ذكرت السماوات معها تغليبًا، كما يقال: بنو فلان فعلوا كذا، مع أن الفاعل واحد منهم.

والجواب الثالث: أنه يجوز أن يكون لفظ الدابة شاملا الملائكة .. انتهى بتصرف.

ونحن نكاد نقطع بما قاله فى الجواب الأول - وأنه هو

---

(١) النحل: ٨.

المتعين – وأما الجواب الثانى فلا نوافق عليه لأن الغرض من التغليب هو الاختصار فى الكلام، كما فى مثل قوله تعالى فى شأن « مريم » عليها السلام: ﴿ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾.

فإن الظاهر أن يقال وكانت من القانتات أو وكانت من القانتين والقانتات ، لكن لو قال: – وكانت من القانتات – لأمكن أن يتوهم الإنسان أنها قاصرة فى درجتها عن درجة الرجال القانتين (أى المطيعين لله جل جلاله).

ولو قال: وكانت من القانتين والقانتات ، لكان ذلك تطويلاً، ولربما أشعر بأن هناك فرقا فى المعاملة عند الله جل جلاله بين القانتين والقانتات، أما النص القرآنى الكريم ﴿ وكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ فإنه يعطينا كمال درجة مريم عليها السلام وأنه لا فرق بين الذكر والأنثى فى الدرجة عند الله جل جلاله ، وهكذا نستفيد الاختصار من التغليب.

أما النص الذى معنا: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ ﴾ (١) فإنه لو كانت الدواب فى الأرض فقط – وأن ذكر السماوات معها إنما جاء للتغليب – لكانت الميم زائدة لا معنى لها.

ثم إن تمثيل الرازى بقوله: بنو فلان فعلوا كذا مع أن الفاعل واحد منهم – بعيد عما نحن فيه – لأن القبيلة إذا رضيت بفعل أحد أفرادها ، فكأن جميع أفرادها فعلوه ، فأين هذا مما نحن فيه؟؟.

---

(١) الشورى: ٢٩.

أما الجواب الثالث: الذى ذكره الرازى - فإننا لا نوافق عليه أيضاً - وحجتنا على ذلك هو الدليل الثانى فى موضوعنا.

الدليل الثانى:

قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (١).

وبيان الاستدلال بالآية: أن لفظ «دابة» مجرور بالكسرة ولفظ «الملائكة» معطوف على ﴿ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ ﴾، فكأنه قيل: ولله يسجد ما فى السماوات وما فى الأرض والملائكة، وجاء لفظ «من دابة» قبل لفظ «الملائكة» توضيحاً لما فى السماوات وما فى الأرض، فلفظ «الملائكة» معطوف على ﴿ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ ﴾، والأصل فى العطف المغايرة كما يقول علماء اللغة.

نعم.. قد يكون العطف فى الكلام بين شيئين غير متغايرين، كما فى قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾ (٢). فإن جبريل وميكال من الملائكة عليهم السلام، ففى الآية عدول بالعطف عما هو الأصل فيه، ولكن هذا العدول هنا لغرض بلاغى هو التنصيص على جبريل وميكال بالذات، لما لهما من الشأن الجليل من بين الملائكة عليهم السلام.

---

(١) النحل: ٤٩.

(٢) البقرة: ٩٨.

فأين مثل هذا الملحظ البلاغى فى هذا المقام - بل نقول إن القول بشمول لفظ دابة للملائكة أمر يأباه تكريم الله جل جلاله لهم - بمثل قول الله جل جلاله: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ (١) وفيما حكاه الله جل جلاله عنهم من قولهم: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ (٢) وما ذكره الله جل جلاله بشأنهم من قوله: ﴿ لاَيَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٣) ... إلى غير ذلك من آيات الكتاب العزيز ، وكذلك بجانب ما استفاض من أحاديث الرسول ﷺ بشأنهم ، فكيف مع ذلك يستسيغ ذوق أن يطلق عليهم لفظ دابة.

الدليل الثالث:

قوله تعالى فى سورة الإسراء : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (٤).

فنحن نرى أن الله جل جلاله يمن على بنى آدم فى هذه الآية بعدد من النعم، فقد كرمهم، وهيأ لهم ما يركبونه فى البر والبحر، ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثير من خلقه- وهذه المنة الأخيرة - هى ما نريد أن نتأمل فيه الآن.

فإن مقام الامتنان يقتضى التعبير بأعلى درجات الحقيقة، فلو كان الإنسان مفضلا على جميع المخلوقات لقال

---

(١) الأنبياء: ٢٦، ٢٧.
(٢) البقرة: ٣٠.
(٣) التحريم: ٦.
(٤) الإسراء: ٧٠.

الله جل جلاله: وفضلناهم على جميع من خلقنا .. ولكن الآية لم ترد كذلك ، بل قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا﴾ فهناك إذاً مخلوقات أفضل من الإنسان ، ومخلوقات أقل من الإنسان فضلاً، ولعلك تسأل .. أى النوعين من المخلوقات أكثر ؟؟ أهو النوع الذى فُضِّل على الإنسان ، أم النوع الذى فضل عليه الإنسان؟؟ وبعبارة أخرى أوضح : أى المخلوقات أكثر – أتلك المخلوقات التى فوق الإنسان منزلة، أم تلك التى هى دونه ؟؟؟.

وأنا أقول لك أولاً: يكفينا أن نفهم من الآية أن هناك مخلوقات فوق الإنسان ، ونحن نعلم أن الملائكة عليهم السلام ليسوا بأفضل من صالحى بنى آدم، لأن الإنسان يجاهد شهواته، وأما الملك فمطيع بالفطرة التى جبله الله جل جلاله عليها، فتلك المخلوقات التى فُضلت على الإنسان هى إذاً غير الملائكة ، ولعل فيها من الشهوات مثل ما فى بنى آدم ولكن الطاعة غلبت عليهم ، أو استغرقت كل أفعالهم .

ثم أقول لك ثانياً: أيهما أوجز فى التعبير وأدل على التكريم .. أن أقول لك : أنت خير عندى من كثير من إخوانك، أم قولى لك: أنت خير عندى من أكثر إخوانك.

لا شك أن التعبير الأول يعطى أنك عندى خير من ثلاثين فى المائة أو أربعين فى المائة من إخوانك، وإن كان من المحتمل أن تكون خيراً عندى من سبعين أو ثمانين فى المائة ولكن مادام المقام مقام تكريم فلماذا لم أصرح وأقل: أنت خير

عندى من أكثر إخوانك - أو كما يقول علماء اللغة - لماذا أَدَعُ صيغة أفعل التى تدل على التفضيل إلى صيغة فعيل التى هى أقل فى الأدلة عليه، هذا فضلاً عن أن لفظ « من » فى أسلوب التفضيل هنا لا يكون موجوداً فتكون الآية: « وفضلناهم على أكثر من خلقنا » بدل « كثير ممن خلقنا » فكلمة من إذا بالإضافة إلى لفظ كثير يدلان على أن المخلوقات التى فضلت على الإنسان أكثر من تلك التى فُضّل عليها الإنسان.

ونحن نشاهد الأشياء التى هى دوننا فى الدرجة من حيوانات وجمادات ، فما هى تلك الأشياء التى هى فوقنا، وقد عرفت أنها غير الملائكة.

إننا لا نعرف شيئاً عنها سوى أن هذه الآية تشير إلى وجودها، ثم إن حديثًا نبويًا سيمر بنا، ربما يلقى الضوء عليها.

* * *

إشارات تقوى الأدلة الثلاثة المتقدمة

هذا وإذا نظرنا فى الدليل الأول وهو قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِه خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا من دَابَّة ﴾ وجدناه يقع فى سورة « الشورى »، وهى تالية فى ترتيب المصحف وترتيب النزول كذلك لسورة « فصلت » ، ونجد فى الآية قبل الأخيرة من سورة فصلت قول الله جل جلاله: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ﴾. فكأن علم البشر بمخلوقات أخرى غير الملائكة فى

غير هذه الأرض التى نعيش فيها مما يدخل تحت الوعد المشار إليه من قوله تعالى « سنريهم آياتنا » ولا يخفى عليك أن هذا الذى نقوله الآن ليس من القوة بحيث من الممكن أن يُعد دليلاً ، ولكنه يصلح فقط مقوياً لما تفيده الأدلة.

وهناك إشارة ثانية من هذا النوع نجدها فى قوله تعالى فى تتمة آية الشورى : ﴿ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾ وذلك عقب قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ ﴾ . وذلك أن المتبادر والظاهر أننا عندما نسمع قول الله جل جلاله : ﴿ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ ﴾ – هو الجمع يوم القيامة بين الخلائق جميعاً – لكن الفعل المذكور بعد ذلك فى قوله تعالى : « إذا يشاء » يخالف أمثاله مما جاء فى الحديث عن يوم القيامة ، مثل قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ ، مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾ (١) ، فأنت ترى فى هذه الآية الأخيرة – الفعل « شاء » بلفظ الماضى ، وهكذا كل مقام جاء فيه الحديث عن يوم القيامة أما آية الشورى فإن الفعل فيها بصيغة المضارع « يشاء » وكأن هذا الاختلاف إشارة إلى أن الجمع فى آية الشورى يختلف عن جمع الخلائق يوم القيامة ، فما المانع من أن يكون المراد به الجمع بين سكان الأرض وسكان ما هو خارج عنها ، وأن يكون هذا الجمع فى الدنيا – ونكرر أن هذا الذى نقوله كذلك هنا

---

(١) عبس : ١٧ – ٢٢ .

لا يصلح أن يكون دليلاً – ولكنه مقوى لما يستفاد من الأدلة الأخرى.

وهناك إشارة ثالثة هى: أن الآية التى ذكرناها فى الدليل الثالث جاءت فى سورة الإسراء، وسورة الإسراء تالية فى ترتيب المصحف لسورة النحل، وهى التى جاءت فيها الآية التى ذكرناها فى الدليل الثانى.

وكما قلنا .. إن هذه مجرد إشارة وليست وحدها دليلا.

الدليل الرابع:

والدليل الرابع على وجود مخلوقات غير الملائكة خارج هذه الأرض هو فيما أرى قول الله جل جلاله فيما حكاه عن عيسى عليه السلام: ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَادُمْتُ حَيًّا ﴾(١) ووجه الاستدلال بهذه الآية الكريمة أنه قد ثبت فى الأحاديث الصحيحة المروية عن رسول الله ﷺ أن عيسى عليه صلوات الله وسلامه سينزل فى آخر الزمان حاكماً بشريعة محمد ﷺ وأنه سيموت بعد أن يحكم فى هذه الأمة، فهو إذًا الآن حيٌّ – فإذا ما عرفنا ذلك – ثم قرأنا قول الله عز وجل فيما يحكيه عنه – ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ – عرفنا أنه الآن يؤدى الزكاة – فهل أحد يرى أن الملائكة يحتاجون إلى زكاة حتى يؤديها عيسى عليه السلام – إليهم.

---

(١) مريم: ٣١.

وإذا كان لا يؤدى الزكاة إلى الملائكة فإلى من يؤديها..؟
إن الجواب الذى لا نرى جوابا غيره - أن هناك مخلوقات أخرى غير الملائكة - هم خارج هذه الأرض، ويؤدى المسيح عليه السلام إليهم الزكاة.

ولكى نوفى هذا الدليل حقه، ينبغى أن نقف بقليل من البحث عند الأساس الذى بنينا عليه هذا الدليل.

هذا الأساس هو حياة عيسى عليه السلام الآن ، فالبعض يطالب بالأدلة عليها، بل ويوجه الشبه إلى القول بها.

وفيما يلى تلخيص لتلك الشبه فى ثلاث:

الشبهة الأولى:

قول الله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ (١).

قالوا: فالظاهر أن عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام توفى أى مات وبعد ذلك رفع **نقول** : ألا يحتمل أن يكون معنى التوفى هو أخذ الشئ وافيا، وعلى هذا فيكون معنى توفى الله جل جلاله لعيسى ﷺ هو تصرفه سبحانه فيه دون أن يكون لعيسى نفسه أو لأحد غيره من الخلق تدخل فى هذا التصرف.

وإذا كان توفى الله جل جلاله للواحد منا هو تصرفه سبحانه فيه بحيث لا يملك الواحد منا ولا يملك غيره من الخلق شيئا فى هذا التصرف.

---

(١) آل عمران: ٥٥.

نقول إنه إذا كان هذا يتحقق في الواحد منا بالموت فإنه قد يكون تحقق في عيسى- عليه السلام - بإخفائه عن أعين مريدي صلبه، بحيث لا يملكون ولا يملك أحد من الخلق غيرهم التصرف فيه، ويكون هذا شاملاً لنقله من هذه الأرض ورفعه إلى مكان آخر.

قد يقول قائل: إن الشائع في لفظ التوفي هو الموت، فكيف يحمل على خلاف ما هو شائع؟.

نقول: متى سلمت بأن اللفظ ذاته محتمل وأن المسألة شيوع، وعدم شيوع ، فنحن نقول «إن الرسول ﷺ يبين المعاني المرادة - في ألفاظ القرآن الكريم - وقد أمرنا الله عز وجل بالصلاة - وكان العرب يعرفون الصلاة بمعنى الدعاء - ولكن الرسول ﷺ يبين لنا بسنته أن الصلاة المأمور بها في القرآن ليست هي الدعاء فقط، بل هي أقوال وأفعال مخصوصة، فقد قال الرسول ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي» وقد قال الله عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1].

فإذا كان الرسول ﷺ قد بين لنا بسنته أن عيسى عليه السلام سينزل في آخر الزمان، فمعنى هذا أنه الآن حي وأن التوفي المذكور في الآية ليس كالتوفي الشائع في الناس ، فهما يشتركان في أن الشخص المتوفى يكون غير مالك للتصرف في أمر نفسه ، ويختلفان في أن المتوفى بالنسبة لعيسى عليه

---

(١) النحل: ٤٤.

السلام هو أن قدرته عليه السلام لم تتدخل فى اختفائه عن أعين الناس.

فمثلا: لم يقم هو بالهرب والاختفاء عنهم، وإنما أخفاه الله جل جلاله مع بقاء حياته، وأما التوفى الشائع فى الناس فهو بذهاب الحياة جملة - على أنه قد ورد التوفى فى آيتين من القرآن الكريم بمعنى «النوم» قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ [1] وقال الله تعالى أيضا: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾ [2] ومعنى ذلك أن التوفى يمكن أن يطلق على معنى آخر غير الموت، ويكون قد دل فى الآيتين المذكورتين على النوم، وفى آية آل عمران بشأن عيسى عليه السلام على شئ غير الموت، والنوم به نجى الله جل جلاله عيسى عليه السلام ممن أرادوا قتله، على أنه لا مانع من أن يكون معنى الوفاة هنا أيضاً الموت، ولكنه موت مؤقت تعود بعده الحياة إلى الأجل المقدر عند الله عز وجل، وهناك إشارة تقوى جانب هذا المعنى الأخير - فى نظرنا - هذه الإشارة هى أن سورة آل عمران جاءت فى ترتيب المصحف بعد سورة البقرة، وقد جاء فى سورة البقرة عدد من المواضع التى أطلق فيها الموت على شئ عادت بعده الحياة مؤقتاً، نجد ذلك أولا: فى قول الله عز وجل حاكيا أمر بنى إسرائيل حين قالوا لموسى عليه السلام: أرنا الله جهرة ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً

(١) الأنعام: ٦٠.

(٢) الزمر: ٤٢.

(٣) البقرة: ٥٥، ٥٦.

فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٣). والبعث المذكور هنا: ليس هو البعث الذى سيكون يوم القيامة، وإنما هو بعث خاص لمن أخذتهم الصاعقة – عاشوا بعده إلى انتهاء آجالهم فى هذه الدنيا.

ونجد ذلك ثانياً: فى قوله تعالى فى شأن القتيل الذى التمسوا معرفة قاتله، فقال لهم موسى عليه السلام: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة. قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا، وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا، كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(١) فحينما ضربوا القتيل ببعض البقرة أحياه الله تعالى حتى نطق باسم قاتله ثم عاد ميتاً.

ونجد ذلك ثالثاً: فى قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾(٢).

ونجده رابعاً: فى قصة الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها: ﴿ قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾(٣).

ونجده خامساً: فى قول الله عز وجل فى نفس السورة: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى، قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن، قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي، قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ

---

(١) البقرة: (٧٢، ٧٣).
(٢) البقرة: ٢٤٣.
(٣) البقرة: ٢٥٩.

فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١).

فورود هذه المواضع الخمسة فى سورة «البقرة» يجعلنا ونحن نقرأ فى سورة «آل عمران» : ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ لا نستبعد أن يكون عيسى عليه السلام قد مات بدون القتل موتاً مؤقتاً ثم أحياه الله عز وجل ورفعه إلى حيث يعلم الله سبحانه وتعالى – ولا نعلم – وسينزل من هذا المكان الذى رفع إليه ويأتى هذه الأرض مرة أخرى ، حتى يعلم اليهود والنصارى أنهم كانوا فى أمره على باطل، وأنه عليه السلام نبى طاهر مطهر وابن طاهرة مطهرة ، ليس كما زعم اليهود ، ثم هو عليه السلام بشر من البشر لا كما يزعم النصارى ، فالله تبارك وتعالى أعلم بأسرار خلقه وكتابه.

* * *

الشبهة الثانية :

قالوا : إنه لا يوجد دليل يفيد يقيناً أن عيسى سينزل فى آخر الزمان.

ونقول : إنه لم تأت آية صريحة تدل على ذلك دلالة لا يمكن مناقشتها ، ولذلك لا نقول بكفر من أنكر ذلك، لكن نخشى عليه الطعن فى سنة الرسول ﷺ ومن كذب الرسول فكأنما كذب من أرسله.

---

(١) البقرة : ٢٦٠ .

وقد يقولون: معاذ الله أن نكذب الرسول ﷺ ولكن نشك فيمن نقل عنه ﷺ تلك الأخبار نقول لهم: لقد رويت تلك الأحاديث في صحيحي البخاري ومسلم - اللذين تلقتهما الأمة بالقبول - فلا يصح رد حديث لمجرد استغرابه، كما أنه قد رويت أحاديث في كتب السنة الأخرى .. وهذه بعض الأحاديث التي جاءت في الصحيحين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: سمعت الرسول ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عليه السلام، حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، وحتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها. ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾رواه البخاري ومسلم(١).

واستدلال أبي هريرة رضي الله عنه مع الحديث الشريف بالآية الكريمة: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾(٢) استدلال وجيه، ومعنى الآية على هذا أنه:

قبل موت عيسى عليه السلام سيؤمن به اليهود والنصارى الذين سيعاصرون نزوله، فيتبين لليهود كذبهم في دعواهم أنه ابن زنا - قبحهم الله - فهو الطاهر ابن البتول

(١) البخاري: كتاب، ٦٠ باب ٤٩ - مسلم: كتاب الإيمان الباب ٧١.
(٢) النساء: ١٥٩.

عليهما السلام، وكذلك يتبين للنصارى الذين انحرفوا عن عقيدته كذبهم فى دعواهم أنه الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة، ويؤمن به الجميع على أنه رسول من الله وحاكم وقت نزوله خليفة عن محمد ﷺ .

ويفهم بعض الناس هذه الآية التى ذكرها أبو هريرة رضى الله عنه فهماً آخر فيقولون : إن أى شخص من أهل الكتاب تتجلى له قبل موته حقيقة عيسى عليه السلام، فعندما يدخل اليهودى أو النصرانى سكرات الموت يظهر له أن عيسى عليه السلام كان نبيا ورسولاً من الله، ولم يكن كما قال فيه اليهود أو النصارى .

ونحن نرى : المعنى الأول أقرب ، وإن كان المعنى الثانى محتملا ، ولهذا وكما قلنا قبل ذلك إنه لا يوجد فى القرآن الكريم نص صريح لا تتطرق إليه المناقشة فى مسألتنا هذه .

* * *

الشبهة الثالثة :

قال قائل : إن كنتم تقولون أن عيسى سينزل فى آخر الزمان فخبرونا أيكون نبيا أم غير نبى ؟ .

إن قلتم نبيا – حينئذ – فماذا تصنعون بقول الله عز وجل ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾[1] وما فى معنى هذه الآية من الأحاديث الدالة على أنه لا نبى بعد محمد ﷺ .

---

(1) الأحزاب : ٤٠ .

وإن كان غير نبى ، فخبرونا : لم سلب النبوة بعدما أعطيها؟

نقول : إن الرسول ﷺ قد روى عنه قوله : « لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعى » فما الفرق بين موسى وعيسى عليهما السلام؟.

فحين ينزل عيسى عليه السلام لا يسعه إلا اتباع محمد ﷺ وهو فى الوقت نفسه فى نفس مكانته الأولى وهى النبوة التى أعطاها الله تعالى له، إلا أن نبوته منقادة لنبوة محمد ﷺ انقياد المأموم للإمام، ويوضح ذلك ما روى فى الأحاديث المستفيضة من صلاته ﷺ بالأنبياء إماما فى ليلة الإسراء، وكذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ﴾ (١) وقريب من هذا فى حياتنا الواقعية أن (المحافظ) هو فى نطاق المحافظة ممثل لرئيس الدولة، فإذا ما جاء رئيس الدولة وزار المحافظة لم يكن هذا إزالة للمحافظ عن منصبه وكذلك لم ينقص من سلطة رئيس الدولة، وإنما قلنا إن هذا المثال قريب مما نحن فيه لأن الزائر فى موضوعنا هو المسيح عليه السلام جاء وهو فى نفس درجته إلى الأرض التى شاء الله أن تحكم بشريعة محمد ﷺ منذ مبعثه إلى قيام الساعة.

ولقد أورد ابن حجر العسقلانى - رحمه الله تعالى - فى شرحه على البخارى سؤالا وأجاب عنه :

---

(١) آل عمران : ٨١.

أما السؤال فحول قول الرسول ﷺ في شأن سيدنا عيسى عليه السلام «أنه يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية» بمعنى أنه لا يقبلها، والسؤال: هل هذه الأفعال شرع جديد جاء له. وأجاب عن ذلك: بأن الرسول ﷺ وهو خاتم النبيين بين أن إقرار بقاء الخنزير والصليب والجزية قد وضعت له غاية زمنية وهى نزول المسيح عليه السلام.

نقول: فكأن الرسول ﷺ طالب المؤمنين أن يبقوا على الصليب والخنزير ويأخذوا الجزية حتى ينزل المسيح عليه السلام، فحين ينزل المسيح عليه السلام كأن محمداً ﷺ قال له: عليك أن تكسر الصليب وتقتل الخنزير وتضع الجزية..

ويشبه هذا قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ، فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾(١)، وبعد فترة من الزمن قال ﷺ: «خذوا عنى، خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة والثيب جلد مائة والرجم»(٢).

فذكر الرسول ﷺ أن السبيل المشار إليه فى آية النساء هو «الحد» على التفصيل المذكور فى الحديث، والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم.

* * *

---

(١) النساء: ١٥.

(٢) صحيح مسلم كتاب ٢٩ باب ١٢.

أمران مدعمان للأدلة السابقة

ومع أن الأدلة السابقة تبدو كافية لأن فيها : النصوص القرآنية الثابتة الصريحة، نذكر أمرين وإن لم يكونا فى الدلالة على دعوانا بالمنزلة التى بلغتها الأدلة المذكورة فإن فيهما تأييدا وتدعيما لما فهمناه وقررناه - والأمر أولا وأخيرا لله عز وجل وهو أعلم بأسرار كتابه وكونه.

أما الأمر الأول : فهو ما استفاض فى أحاديث الإسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى : من أنه ﷺ أتى بدابة اسمها البراق وقد وصف الرسول ﷺ هذه الدابة بأنها تضع حافرها عند منتهى طرفها - والطرف بسكون الراء هو البصر- وقد ركب النبى ﷺ هذه الدابة حتى وصل إلى المسجد الأقصى، ثم أُتى بعد ذلك بالمعراج - وهنا لابد أن نتساءل - أكانت هذه الدابة إنسًا أو جنًّا أو ملكًا - والجواب الذى لا يكاد يخطر بالبال غيره أن ذلك كله ممتنع ، وإنما هى مخلوق غير معروف لنا، ونجد فى ألفاظ الرسول ﷺ إشارة قوية لما نقول ، فإنه ﷺ وصف هذه الدابة بأنها دون البغل وفوق الحمار وهذا ليس محل الشاهد لنا ولكن وصف الرسول الدابة بعد ذلك بقوله : « أبيض » ، ونحن نعلم أن رسول الله ﷺ أفصح العرب ، والعرب إنما تقول « دابة بيضاء » فإنها تجعل الوصف مؤنثاً إذا كان موصوفه مؤنثاً ، فلماذا عدل رسول الله ﷺ عن القول المألوف « دابة بيضاء » إلى لفظ آخر غير مألوف فقال : « دابة أبيض » .

إن الذى نلمحه من ذلك هو أن تلفظه ﷺ باللفظ على خلاف المعهود إشارة إلى أن مدلوله كذلك غير معهود ،ولعل مما يزيدنا اطمئناننا إلى ما نراه أن الدابة سميت بالبراق والمادة هى مادة البرق – فكأنما يشير النبى ﷺ بهذه التسمية إلى أنه يسير بسرعة البرق التى هى سرعة الضوء – وقول جبريل حينما اضطرب «اهدأ فما ركبك خير من محمد» لعله إشارة إلى أن البرق لم يسر بسرعته العادية ، وإنما خفض منها حينما ركبه الرسول ﷺ وذلك تيسيراً على بدنه ﷺ فكما كان بدنه ﷺ يتغير بعض التغير حين يأتيه الوحى فإن البراق كذلك اعتراه بعض التغير في هذه الرحلة وذلك حتى لا يكون عبء السرعة ملقى بكامله على بدنه ﷺ .

فهل لدينا فيما نعهده من مخلوقات نراها مخلوق يسير بسرعة الضوء، فإن قيل لنا: لعل البراق كان ملكاً. قلنا : إن المتبادر من إطلاق لفظ الدابة أنه ليس ملكاً كما سبقت الإشارة إليه، حين استشهدنا بقوله تعالى فى سورة الأنبياء فى شأن الملائكة ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ (١) ومما يدل كذلك على أن البراق كان يسير بسرعة الضوء قوله ﷺ فى وصفه يضع حافره عند منتهى طرفه– أى بصره – وما أظن هناك فرق بين سرعة الإبصار وسرعة الضوء ، فكما حققه العلماء المتخصصون فى هذا الشأن «ليست الرؤية إلا انبعاث شعاع من المرئى إلى العين» .

---

(١) الأنبياء : ٢٦ .

الأمر الثانى : مما يستأنس به فى القول بوجود مخلوقات خارج هذه الأرض غير الملائكة والجن والإنس

حديث فى كتاب «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالى- هذا نصه- «روى عن النبى ﷺ أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال: «ما لكم لا تتكلمون؟ «فقالوا: نتفكر فى خلق الله عز وجل قال: «فكذلك فافعلوا ، تفكروا فى خلقه ولا تتفكروا فيه، فإن بهذا المغرب أرضاً بيضاء نورها بياضها وبياضها نورها ، مسيرة الشمس أربعين يوماً بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله طرفة عين» قالوا: يا رسول الله فأين الشيطان منهم؟ قال: «ما يدرون خُلق الشيطان أم لا» قالوا: من ولد آدم؟ قال: «لا يدرون خُلق آدم أم لا»: ذكر العراقى فى تخريجه على الإحياء أن الصحابى الذى رواه عن النبى ﷺ هو عبد الله بن سلام، وبين العراقى كذلك أنه كتب جزءاً خاصاً مستقلاً بهذا الحديث، ولم يبين لنا فى تخريجه للإحياء درجة صحته [1].

وهذا الحديث وإن لم يكن قد علمت لنا قوة سنده، فإننا نجده متفقاً مع الأصول العامة المقررة فى كتاب الله العزيز ومنها أن التفكر فى خلق الله جل جلاله مأمور به كما قال سبحانه: ﴿أو لَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض وَمَا

(١) انظر كتاب التفكر من كتب إحياء علوم الدين للغزالى مع تخريج العراقى.

خَلَقَ اللَّهُ من شَىْءٍ ﴾، ومنها أن البشر لا يحيطون بمخلوقات الله عز وجل علماً كما قال الله تعالى ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[1] وكما قال سبحانه : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[2].

* * *

(٣)
السر فى أن القرآن الكريم والسنة المطهرة لم يفيضا فى الحديث عن تلك المخلوقات

لقد حدثنا القرآن الكريم والسنة المطهرة عن الإنسان وبدء خلقه وعن مخلوقات غير الإنسان كالجن والملائكة، والذى يظهر من حديثهما فى هذا الشأن ، أنهما إنما حدثانا عن ما له نوع صلة بالإنسان .

فبالنسبة للجن مثلا : بين لنا القرآن الكريم أن منهم من يوسوس فى صدور الناس، فهم يرون الناس والناس لا يرونهم، كما قال الله جل جلاله فى التحذير من إبليس وقبيله ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ ، إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾[3].

وليس الجن كلهم هكذا ، فقد حدثتنا سورة الجن عما قال وفد منهم سمع القرآن من رسول الله ﷺ دون أن يراهم ﷺ وإنما علم ذلك بوحى من ربه ، قال تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً *

---

(١) النحل : ٨. (٢) الإسراء : ٨٥.

(٣) الأعراف : ٢٧.

يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ، وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾[1] واستمر حديثهم عن أنفسهم إلى الآية الخامسة عشرة من السورة الكريمة ، وجاء في الآية الحادية عشرة ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ ، كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾ وفي الآيتين الرابعة عشرة والخامسة عشرة : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ، فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا * وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾.

وقد بين الله جل جلاله أنه أرسل إليهم رسلا كما قال تعالى : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ، قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا ، وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ [2].

وجاء في كثير من السور أن إبليس وسوس لآدم وحواء حتى أكلا من الشجرة التي نهيا عنها، وأنه قد أقسم حين طرد من رحمة الله عز وجل – بعد امتناعه عن السجود لآدم – على أن يبذل جهده في إغواء بني آدم ، فكان حديث القرآن الكريم عن ذلك تحذيرا من الانحراف عن هدى الله عز وجل .

وأما الملائكة فقد بين لنا الله عز وجل أن منهم من يتنزل بالوحي على المرسلين من بني آدم – كما قال الله جل جلاله في شأن جبريل عليه السلام وتنزله بالقرآن الكريم على محمد

---

(١) الجن : ١ ، ٢.

(٢) الأنعام : ١٣٠.

ﷺ : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (١).

وقال الله تعالى فى شأن الوحى عامة : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ، إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾(٢).

وذكر سبحانه أنه وكل بقبض الأرواح ملكا ، ولذلك الملك أعوان ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (٣) وقال سبحانه : ﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ ﴾ (٤).

وذكر سبحانه كذلك أن من الملائكة من وكلوا بحفظ الإنسان من الأخطار ، كما يفهم من الآية السابقة ﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ ، وكذا من قوله تعالى : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾ (٥) ولفظ « من » فى قوله تعالى ﴿ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ معناه : « يحفظونه بأمر الله » ، فالحفظ إنما جاء من جهة الله جل جلاله وليس كما يظن البعض

---

(١) الشعراء : ١٩٣ - ١٩٥.

(٢) الشورى : ٥١.

(٣) السجدة : ١١.

(٤) الأنعام : ٦١.

(٥) الرعد : ١١.

أن الملائكة تحمي الإنسان من أمر أراد الله إنزاله به، لأن بقية الآية تبين ذلك إذ قال سبحانه ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ ﴾.

وكما وكل الله بالإنسان ملائكة تحفظه فقد وكل به ملائكة تحفظ أعماله وتكتبها، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾(١).

وبين تبارك وتعالى أن الملائكة يستغفرون لمن فى الأرض، كما جاء في سورة الشورى: ﴿ وَالْمَلاَئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ ، أَلاَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(٢)

وفى سورة غافر بين الله جل جلاله أن حملة العرش يستغفرون للمؤمنين التائبين قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ، إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ، وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(٣).

---

(١) الانفطار: ١٠ : ١٢.
(٢) الشورى: ٥.
(٣) غافر: ٧ – ٩.

وبين أن الملائكة لا تنقطع علاقتهم بالعبد بانقضاء هذه الدنيا ، فبالنسبة للمؤمنين قال الله سبحانه : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ، وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ،فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (١) .

وبالنسبة للكافرين : بين الله جل جلاله أن لجهنم خزنة يستغيث بهم أهلها فلا يكون منهم إلا الغضب - لغضب ربهم- قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ ، قَالُوا بَلَى ، قَالُوا فَادْعُوا ، وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ﴾ (٢) .

وقد استفاضت فى ذلك الآيات والأحاديث .

ولا يفوتنا أن نستحضر هنا حديثا عن الرسول ﷺ يبين لنا أن كل قلب من قلوب بنى آدم هو محل لجولان الملائكة والشياطين، والمؤمن مطالب أن ينصر فى نفسه جنود الله الذين وكلوا بجلب الخواطر الطيبة له، وأن يخذل فى نفسه الجنود الذين يجلبون خواطر الشر إليه، فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإبعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما الملك فإبعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله - فليحمد الله- ومن وجد الأخرى

---

(١) الرعد: ٢٣ ، ٢٤.   (٢) غافر: ٤٩ ، ٥٠.

فليتعوذ من الشيطان ، ثم قرأ ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ . وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١) .

ويظهر أن الله عز وجل لم يحدثنا كثيرا عن تلك المخلوقات الأخرى التى تعيش خارج هذه الأرض، لأن هذه المخلوقات الأخرى لا علاقة لها بنا ولا تأثير لها فى حياتنا يشبه ذلك التأثير الذى هو لكل من الملائكة والجن .

والله تعالى أعلى وأعلم وأعز وأحكم .

* * *

---

(١) البقرة : ٢٦٨ ، والحديث ذكره ابن كثير عند تفسيره للآية وذكر أن أبى حاتم رواه بسنده وكذا الترمذى والنسائى وابن حبان فى صحيحه .

الخاتمة

مع أن فكرة وجود مخلوقات خارج هذه الأرض غير الجن والإنس والملائكة عجيبة لدى أكثر الناس ، فإن ذلك لا يدل على استحالتها ، ففرق كبير بين المألوف والمعقول ، وكم من الأمور كانت فى العصور السابقة غير مألوفة، فأصبحت فى هذا العصر هى قوام حياة الناس كالكهرباء ووسائل المواصلات والاتصالات المتنوعة ، ولقد تعودنا فى تدبر القرآن العظيم أن ننظر ما يكشف عنه بحث الباحثين ثم نقول : إن القرآن الكريم يدل على هذا، وذلك كالحديث عن كروية الأرض وجرى الشمس وغيرها، ولكننى قد سجلت فى الصفحات السابقة ما لم تظهر فيه للعلم كلمة نهائية، وقد بدا لى أن القرآن العظيم قال القول الفصل فى الموضوع ، على حين لا تزال المراكز العلمية تجرى البحوث ، والبحوث فى تطلع دون أن يكون قد تكشف لها أمر حاسم، ونورد من ذلك نموذجين فقط :

النموذج الأول: نشر فى مجلة الأزهر فى عدد شعبان ١٤١٨هـ ما نصه:

«أشارت جريدة الأهرام فى العدد الصادر فى ١٥ /١١ /١٩٩٧م إلى دراسة علمية جديدة عن كوكب المريخ أكدت وجود أشكال مختلفة من الحياة فى أجزاء أخرى من الكون، وقد نقل التليفزيون البريطانى عن علماء أمريكان قولهم بأن الاعتقاد بوجود مخلوقات على الأرض فقط اعتقاد

ساذج، وأن الدلائل تشير إلى وجود مخلوقات خارج كوكب الأرض، كما أشار العلماء إلى وجود أدلة تشير إلى أن كوكب المريخ احتضن أحد أشكال الحياة الأولية فى وقت ما، وأن ثمة شبه بينه وبين كوكب الأرض.

والنموذج الثاني: من إذاعة لندن برنامج عالم بلا حدود حلقة ١٨ / ١.٢ / ١٩٩٧م ونستملى من المسجل مايلى:

« سينفق الفاتيكان أكثر من خمسة ملايين دولار على تليسكوب جديد فى المرصد التابع له فى ولاية أريزونا الأمريكية ، وسيستخدم هذا التليسكوب مع نظام بصرى تكلف ثلاثة ملايين دولار، ويمر الآن بمراحل الاختبار النهائية، ويدير هذا المرصد عدد من القساوسة ، ويرغب البابا فى أن يعمل هذا الفريق من الفلكيين الكاثوليك فى اكتشاف مجموعات كواكب يمكن الحياة فيها، وهو مشروع يقول البابا عنه إنه يمثل البحث عن بصمات الإله، وفى الوقت ذاته يعتقد العلماء البريطانيون الذين يستخدمون تليسكوبات حديثة وقوية أنهم اكتشفوا وجود أربع مجموعات كواكب حول نجوم قريبة (انتهى) ».

الأول: يتعلق بعبارة جاءت فيه، وهى كلمة بصمات الإله، وكأنهم يريدون بها الآيات الدالة على الإله ، ونحن نقول ما قاله السابقون:

وفى كل شئ له آية .. تدل على أنه الواحد

فلسنا بكبير حاجة إلى أن نتعرف على مزيد من الآيات في هذا الشأن، وليتنا نعمل بما نعلم.

أما التعليق الثاني: فرغم أنهم فيما يبدو يظهرون أنهم يبحثون عن وجود كائنات أخرى خارج هذه الأرض تشبه ولو إلى حد ما الكائنات الموجودة فليس بمستبعد أن يكون غرضهم الهجرة إلى كواكب أخرى يستعمرونها كما استعمروا القارات الأخرى على هذه الأرض.

وأخيرا: فلقد أبدينا وجهة نظرنا في موضوع وجود حياة غير حياة الملائكة والجن خارج أرضنا، وقطعنا في ذلك برأي - والحمد لله تعالى - ومع ذلك فلسنا ندعي كفر أوفسق من خالفنا فيما رأينا، فإن أركان الإيمان كما بينها الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم هي: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت وبالقدر خيره وشره حلوه ومره**»(١).

ونسأل الله عز وجل أن يحيينا على ذلك ويميتنا عليه، ويبعثنا عليه، وأن يجعلنا من الذين بعلمهم يعلمون، وأن يلهم البشرية رشدها حتى تصل حبلها بربها خالقها، وتعيش متواصلة غير متنابذة ولا متباغضة، وأن ينشر في هذا العالم الوئام بدل الخصام، والتعاون بدل التطاحن، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ولا يفوتني وأنا أودع هذه الصفحات حول مخلوقات

---

(١) رواه البخاري كتاب ٢ باب ٣٧، مسلم كتاب ١ باب ١.

عرفني القرآن بوجودها ، ولكن الحكمة يعلمها الله تعالى لم يعرفني من صفاتها شيئا، أقول لا يفوتني وأنا أودع هذه الصفحات أن أردد التحية التي أرددها ويرددها كل مسلم في كل صلاة كما علمه الله تعالى على لسان نبيه ﷺ «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» فما نظن هذه المخلوقات إلا صالحة -والله بكل خلقه عليم-.

وكان الفراغ منه ليلة السابع والعشرين من رمضان سنة ثماني عشرة وأربعمائة وألف من هجرة الرسول ﷺ مساء ٢٤/١/١٩٩٨م.

* * *

الفهرس

الموضوع — الصفحة

الموضوع | الصفحة

رقم الإيداع : ١٧٢٩١ / ٩٨
الترقيم الدولي : I.S.B.N
977-19-7762-8